السنة الثامنة والاربعون
آذار - نيسان ١٩٥٤

يوحنا الشامي الزربابي الملقّب بابن الغرير

[وليس ابن الجرير]

تعريبه كتاب « تفسير المزامير » لدانيال الصلحي - مآثر كتب المرتبة ومذخراته - كتابه وتلامذته - هويته ولقبه الصحيح - حالته الكنسية - معارفه وخطته العلمية والنقدية

للخوري سمف نخايل الرّحي
حافظ الخزانة والمكتبة البطريركية

في المكتبة البطريركية في بكركي مخطوط رقمه الحالي ١٦٠ وموضوعه تفسير المزامير. ورق المخطوط سميك. قطعه متوسط: ١٦/٢٠ سنتيمترًا. غلافه جلد على خشب. حبره اسود فقط في الكراريس ١-١٥ و٢٠-٢٢ و٢٥-٢٧، واسود واحمر في البقية. سطوره على عرض الصفحة تشغل فيها قدر ٩/١٥ سنتيمترًا. في الكراريس ١-٤ عدد السطور في الصفحة ٢٧ والكلمات في السطر ٤-٦؛ وفي الكراريس الباقية عدد السطور في الصفحة ٢٥ والكلمات في السطر ٦-٨. خرم الث اطراف اوراقه وخصوصًا في الكراريس ٢٣-٢٥. الصفحات غير مرقومة بالاعداد. الكلمة الاولى من كل ورقة خطّت في اخر الورقة

السابقة عن الشمال . كراريسه تحمل كل منها عددًا بالاحرف الكائنة في اعلى الصفحة الاولى عن الشمال والاخيرة عن اليمين ؛ وعددها بحسب الارقام ٢٥ ، لكن في الحقيقة ٢٦ ، لان العدد ٢٢ مكرّر . اوراق كل كرّاس ١٠ ، ما عدا الكراسين ٩ و٢٥ فلوراق الاول ١٢ والثاني ٢ . سقطت الورقة الاولى من الكرّاس الاول . تركت بيضاء الورقتان ٣ و٤ من الكرّاس ٢٤ . فيكون عدد اوراق المخطوط (٢٦×١٠+٢-٩=) ٢٥٣ وصفحاته ٥٠٦ .

لغة الكتاب العربية مكتوبة بالحروف السريانية اي بالكرشونية ، ما عدا عنوان المزامير وآيات المزامير في الكراريس ١٤-٢١ و٢٢ مكرّر-٢٥ ، فانها مكتوبة بالحروف العربية . الخط جيد ، صحيح القاعدة ، سهل القراءة . اضيفت نقطة الى بعض احرفه لتقابل الاحرف العربية ، التي لا مقابل لها في الابجدية السريانية اي تحت الشاء والكاف والجيم ووسط الحاء والطاء وفوق الكاف والصاد لتقابل الاحرف العربية : الثاء والخاء والذين والجيم والضاد والكاف والظاء ، وتركت الذال بدون مقابل . والخط متنوع قليلًا ، كما جاء في حاشية اخر النسخة : « . . انك تجد كتابتها اشكال والوان » (ادناه : ص ٤) ؛ على ان معظمه من يد واحدة .

جاء على هامش المزمور ١٣٨ : « كتاب المحوري غريغوريس (كذا) متاع ، من ماله لنفسه » ؛ وعلى دفة الجلد الاخيرة من الداخل ، باحرف عربية : « وقفًا لدير حوب حقًا وصدقًا » . وحوب دير للرهبانية اللبنانية في جرد بلاد البترون .

عرّفنا صاحب المخطوط بنفسه في ثلاثة محال منه :

بعد المزمور ١٠٠ : « تمّ الجزء الثاني من [تفسير] كتاب المزامير . اللهم كجزيل صلاحك اغفر لعبدك قسّ حنا الشامي ، كاتبه ، الذي نقله من يابس اللغة السريانية الى اسهل العربية ، وذلك كحسب ضعف عبارته » . ك (= كراس) ١٠ ور (= ورقة) ٨ ق (= قفاها) .

بعد المزمور ١٠١ ، بالحرف العربي : « تمّ تفسير هذا المزمور ، اعني اخراجه من السرياني كحسب امكان ضعف كاتبه الفقير قسّ حنا الشامي » . ك ١٦ ور ١٠ ق .

واخيرًا بعبارة مسجعة بعد المزمور ١٣٩ ، وهو الاخير في المخطوط : « قد تم وكمل هذا التفسير الاكسير : كحسب العناية والتيسير : التي ادركت كاتبه العبد الحقير : باسم غريغوريوس اسقف يوحنا الشامي الفقير ، في نهار الجمعة ثامن عشر اذار في الصوم المقدس الكبير : وهي سنة الف وتسع مائة واحد وثمانون (يونانية = ١٦٧٠م) بيدين ضعيفات نحيفات : والى الزوال مائلات : ومن يذكرني بالرحمة الرب يذكره في ملكوته . آمين » . ك ٢٥ ور ٢ ق .

وبعد هذه العبارة الثالثة ، يذكر على الهامش ان : « تاريخ النسخة المنقول منها سنة الف وخمس ماية واربع وسبعون يونانية » (١٢٦٣م) .

يبان من هذه العبارات ان يوحنا الشامي قد خطّ الكتاب بيده ، لانه ينعت نفسه في المحال الثلاثة بقوله « كاتبه » ، وانه اخرجه ونقله اي ترجمه من السريانية الى العربية عن نسخة قديمة تاريخها سنة ١٢٦٣ م ، وانه بدأ العمل وهو قس وانتهه بعد ان ارتقى الدرجة الاسقفية باسم غريغوريوس . وكان اقامه سنة ١٦٧٠ م . ولا بد من الاشارة الى انه كان قد بلغ من العمر اخره ، اذ اصبحت يداه « ضعيفات نحيفات والى الزوال مائلات » .

وقد عانى ، اجزل الله أجره ، مشقات غير يسيرة في القيام بعمله . منها صعوبة حصوله على النسخة الاصلية الحاوية النص السرياني وصعوبة قراءة هذه النسخة لقدمها . وقد سرد حكاية شيء من ذلك .

فدونك روايته الطريفة عن موقف مالك الاصل السرياني منه :« تكون تعلم ايها الواقف على هذه الاسطر الحقيرة انّا بقينا مدة ثلاثون سنة نتوسل لصاحب النسخة السريانية التي اخرجنا منها هذا الجزء الناقص من اوله واخره. وهو يتجنّا علينا ويماطلنا ويحتال. وقت يقول: ما تصل اليه يدي ..ووقت اخر ينعم بقلب بارد وبغير انجاز وعد . ووقت اخر يعطينا كم كراس ويزيحنا ثقل الجمايل والمنن التي ما تحتها طائل . حتى وصلنا بقوة المعين الى هذا المقام الى ان سهله الله على يد غيره ، واسأل الله ان كل من يمنع راغب من اعارة كتاب : الرب يصبّ عليه العذاب والعقاب : لانه يبخل في عمل كله ثواب . . ويشهد لكلامنا في تأخير ختام هذه النسخة انك تجد كتابتها اشكال الوان. والحمد لله صاحب كل نعمة واحسان . امين » — ك ٢٥ ور ٢ ق.

وقد نبّه المترجم الى عطب النسخة ونقصها . فبينما هو يبدأ تفسير المزمور ١٣٧ ، يكتب على الهامش بحرف عربي : « اعلم يا اخينا الحبيب ، الواقف على هذه الاحرف الحقيرة ، والتفسير الفايق ، ان النسخة المنقول منها قديمة العهد ، منتثرة الورق ، ممحوّة الكلام . وقد صحّحنا ما قدرنا عليه . فلا مؤا[خذة] — ك ٢٤ ور ٢ .

ثم لا يلبث ان يتوقف عن الكتابة : « تركنا هذا المكان خالٍ من

الكتابة لاجل تلاف النسخة وعدمها. والكمال على الله في ذلك وغيره » — (ثم ، ور ٣) . وفي الواقع ، نرى بعد هذا التنبيه ثلاث صفحات ونصف الصفحة متروكة بيضاء ، على امل التمكن من كتابتها فيما بعد . يليها تفسير المزمور ١٣٨ من نصف المقدمة .

اما نقص النسخة من اخرها ، فقد جاء عنه ، بحرف عربي : « اعلم يا ذا الاخ انا ما وجدنا في النسخة المنقول منها هذا التفسير سوى مائة واربعون أميرًا ومزمورًا . وما بقي منها سوى ورقة واهية منتثرة . وختم [المؤلف] فيها تاريخ كتابه ، كما نقلناه اخيرًا . واقول والله اعلم ان الشارح المرحوم افرد للعشرة مزامير الباقية والعشرة تسابيح ، جزؤ وحده . اعلم ما هناك . واسألك الترحم علينا جميعاً » — ك ٢٠٤ ور ١٠ ، على الهامش .

ولا نخاله الا نبّه كذلك على نقصها من اولها على الشكل نفسه ، بحاشية على الصفحة الاولى منها ، فقدت بفقدان الورقة الاولى من مخطوطنا . ولا شك في فقدان هذه الورقة . لان الكراس الأول يحمل رقمه الاصلي « اول كراس » على صفحته الاخيرة ، ولا شك في انه ، اسوة بسائر الكراريس ، كان يحمل هذا الرقم عينه على ورقته الاولى المفقودة . وهو يبدأ الان بالسطرين الاخيرين من « مقدمة القول » للمزمور ٧٧ تليها آيات المزمور وتفسيرها .

. . .

وقبل ان نقول كلمة في المترجم وترجمته ، يحسن بنا ان نعرّف الاصل المترجم ومؤلفه . جاء في مخطوطنا ، على الهامش ، قبالة تفسير الآية ١٩ من المزمور ١٠٣/١٠٤ ، بحرف عربي ، ما يلي : « تأمل هذا شافياً وترحم على نفس المفسّر ، دانيال الشيخ الفاضل » — ك ١٣ ور ٣ .

فدانيال هذا مفسّر المزامير كان في اواسط القرن السادس . ولُقّب بالصلحي ، نسبةً الى بلدة صَلَح[1] ، وهي قرية في طور عبدين ، ورد ذكرها في مخطوط من القرن ١٢ في المتحف البريطاني ، رقم ٥١٥ (فهرس وريت : ١ : ٣٩٥) ، واخر من القرن ١٣ في المكتبة الوطنية بباريس ، رقم ٣١ (فهرس زوتنبرج :

١) ان غبطة البطريرك برصوم يخطّي الفاثلين بذلك وينسبه الى دير الصالحين او الى بلدة الصالحية (اللؤلؤ المنثور : ٢٥٥-٦) .

١٣) . ولا تزال قائمة الى اليوم ، على ما جاء في اخبار « سياحة في طورعبدين» للاب اسحق ارملة (المشرق ١٦ : سنة ١٩١٣ : ص ٦٧٢) .

وذكر عبطة البطريرك برصوم ان دانيال هذا كان في اول امره رئيس دير الصالحين ، بدون ان يحدّد موقع الدير لا في متن كتابه ولا في فهارسه ، وانه « سيم اسقفاً لتل موزل بعيد سنة ٥٤٢ » . وقد خلّد اسمه بين الكتبة الكنسيين بتفسيره سفر المزامير في ثلاثة اجزاء ، خمسين مزموراً في كل منها . وذكر البطريرك برصوم ان «داود الحصني اختصره عام ١٤٦١» (اللؤلؤ المنثور : ٢٥٥—٦).

ومن الكتاب المطوّل نسخ عديدة في الواتيكانية والمتحف البريطاني ، ومن الغريب ان لا تكون احداها كاملة ، بل جاءت جميعها مبتورة . وقلّ ان حوت الواحدة اكثر من جزء واحد. وقد خلت جميعاً من الجزء الثالث والاخير[1] . اما الموجز. فيذكر عبطة البطريرك برصوم نسخاً عديدة منه في خزائن غربية وادبرة سريانية (ثمّ ؛ السمعاني: المكتبة الشرقية : ١ : ٤٩٥ ؛ وريت: الآداب السريانية : ١٥٩—٦٠) .

ومثل هذه النسخ المخرومة تلك التي ترجمها يوحنا الشامي . واذا صحّ ان الموجز من القرن الـ١٥ فقط ، كما ورد في « اللؤلؤ المنثور » (اعلاه) فتكون نسختنا من المطول ، لانها عن اصل من القرن ١٣ . اما اذا كان من القرن الـ١٠ ، كما جاء في تاريخ الآداب السريانية للاب شابو (ص ٦٨) ، فيستحيل تقرير ايهما مصدرها ، الا بمقابلة النصوص بعضها ببعض .

تبدأ نسختنا بالمزمور ٧٧ وتنتهي بالمزمور ١٣٩ . وعدّ المزامير فيها على طريقة السريان ، التي توافق عدّها في الاصل العبراني حتى المزمور ١١٥ ، فقد ضُمّ هذا المزمور الى المزمور ١١٤ عند السريان وشطر عندهم المزمور ١٤٧ العبراني مزمورين هما ١٤٦ و١٤٧ . وتشتمل نسختنا على القسم الاخير من جزء الكتاب الثاني: المزامير ٧٧—١٠٠ وعلى القسم الاول من جزئه الاخير: المزامير ١٠١—١٣٩.

والطريقة ان لكل مزمور تفسيراً ، عنوانه « ميمر » ، من السريانية اتي مقالة . يليه موجز مغزى المزمور ورمزه وتفسيره ، ثم « مقدمة » او « فاتحة

١) ومنها واحدة مخرومة في دار البطريركية السريانية الكثوليكية في بيروت تشتمل على الجزء الاول (اللؤلؤ المنثور : ٢٥٥—٦) .

القول » ، واحيراً تفسير الآيات ، واحدة فواحدة ، باختصار او اسهاب بحسب الحاجة .

وقد اتبع المترجم الاصل عن قرب ، وعُني باخراجه صحيحاً واضحاً . وارفق بعض الكلمات السريانية بكلمات عربية عديدة مزيدة وشروح من القواميس وكل ذلك على الهامش ، لاحقاق معناها . وقابل السرياني والعربي الواحد بالآخر مراراً ، حين لم يأمن تأدية المعنى الصحيح . واورد الكلمة السريانية نفسها تجاه معربتها ، عند عدم تيقنه من صحة تعريبها . الى مثل ذلك .

ويُلحظ من نعته اللسان السرياني باليابس[1] والعربي بالسهل ، كانه يريد باليابس الصعب يقابله السهل ، ان اللغة السريانية اصعب من العربية او انها لغة ميتة . ولهذا نراه يعتذر ، عن التقصير الممكن ، بانه ترجم « كحسب عبارته — كحسب امكان ضعفه — كحسب العناية والتيسير » (اعلاه : ص١٣٠) .

ومن الطبيعي ان دانيال الصاحي شرح المزامير بحسب نصها في النسخة السريانية البسيطة . فكان على المترجم ان يتبعه ، فلم يفعل . بل اعتمد في محال كثيرة على النسخة اليونانية السبعينية ، وعند الحاجة طبّق عليها النص السرياني ، ولم يبدله منها الا عند الاضطرار[2] .

---

١) في فهرس المكتبة الواتيكانية (٣ : ٢٥١) : ترجمت هذه العبارة « يابس السرياني » هكذا : Syriacis vocibus presse inhærens « متبعاً عن قرب الكلم السرياني » !

٢) من ذلك في تفسير المزمور ١٠١ ، الآية ٣ : فانه يورد في المتن « امقت جميع عاملي الاثم » بحسب اليوناني ؛ وعلى الهامش بحسب النص السرياني ، معقباً عليه : « السرياني يقول مفرداً » [اي ابغضتُ فاعل الاثم] . ومثله الآية الاولى من المزمور ١٢٧ و١٢٨ . ومثل هذا كثير . نكتفي بما جاء منه في شرح المزمور ١٢٦ . فانه يورد نص كلامه في المتن تارة بحسب السبعينية وتارة بحسب البسيطة . ويورد على الهامش الكلمة السريانية او اليونانية المختلفة . فيقول في المتن : « وان لم يحفظ الرب المدينة » : وعلى الهامش « سرياني ܡܕܝܢܬܐ » اي قرية ؛ « ويوناني ܡܕܝܢܬܐ » اي مدينة . ثم يبدأ الآية التالية بحسب اليوناني : « باطلاً هو لكم التبكير » ويكملها بحسب السرياني : « ويتأخرون عن الجلوس » ، بدون تنبيه ما . وايضاً : « كذلك هم ابناء الصبوة » ، وعلى الهامش « سرياني ܠܥܘܠܡܐ » اي الصبوة ؛ و« يوناني ابناء المتيقظين » . وعلى الاثر : « فطوبى للرجل الذي يملأ جعبته منهم » ؛ وعلى الهامش : « سرياني ܡܠܝܢ ܒܗ ܐܢܘܢ » اي جعبته ؛ و « يوناني شهوته » الخ .

والغريب انه يضع، قبالة ترجمته للآية ١٠ من المزمور ١٠٨، بحرف عربي، عبارة لها صبغة الاعتذار الى القراء عن ايراده فيها النص السرياني. قال: «بيان: اعلم انّا اخذنا نص المتن على حسب النسخة السريانية، وذلك لاجل الشارح، ليوافق القول». والمعنى واضح؛ اي انه كان يود ايراد النص بحسب اليوناني، وهو «مؤاب اناء رجائي». لكنه لو فعل لما طابق هذا النص الشرح الموضوع للنص السرياني، وهو «مؤاب قدر غسلي»، الوارد في كتاب دانيال الصلحي متناً وشرحاً. ولا ندري ما الدافع الى هذا «البيان». فهب انه اراد، زيادة في التدقيق والتمحيص، مقابلة النصين الواحد بالاخر، فكان عليه، حتى في هذه الحال، ان يُبقي على السرياني في المتن ويدع الهامش لليوناني.

وظل الاستغراب من تنكّر صاحبنا لنص المزامير السرياني يساورنا، وظللنا نستكنف انصرافه عنه الى اليوناني، حتى عرقنا بالمخطوط البودليانى في اكسفورد رقم ١٨. فانه كرشوني بجزئين: اولهما انجيل يوحنا، والاخر «كتاب زبور داوود». وقدم صاحب الفهرس لهذا الاخير بهذه العبارة: «ترجمة عربية للمزامير منقولة عن [النسخة اليونانية] السبعينية». وجاء في فهرسها ان «القس يوحنا ابن الجزيري ناقله»، (فهرس پاين سميث: ٦٥-٦). فلا بدع بعد ذلك ان يؤثر يوحنا الشامي هذا النص اليوناني على السرياني في شرحه للمزامير فانه تعب في اخراجه الى العربية، وكان يرغب، على الارجح، في نشره وتعميم استعماله[1].

...

ودونك مثالاً عن طريقة الشارح وخطة المترجم ومداها من الاعراب والفصاحة. وقد نقلنا نقط الوقف والحركات كما جاءت في المخطوط.

---

١) ذكر غبطة البطريرك برصوم ان لتأليف دانيال الصلحي المطوّل ترجمة عربية وُضعت «بلغة ملحونة في اواسط القرن الثامن عشر» (ثمّ: ٢٥٦). فترجمتنا اذن اقدم منها. ولا يقال انها عن الموجز. لان الموجز، بحسب رأيه، من الـ ١٥ (ثمّ)، وترجمتنا عن اصل من الـ ١٣. إلّا ان يكون الموجز، بحسب الاب شابو، من الـ ١٠ (اعلاه: ص ١٣٣). وهذا ما ينكره غبطته (ثمّ). وذكر العلامة وريت ترجمة اخرى للجزء الثالث مخطوطة في مجموعة ساخو ببرلين، رقم ٥٥ (وريت: الاداب السريانية: ١٦٠: حاشية).

نسم الاب والابن والروح القدس الاهًا واحدًا له المجد

نبتدئ معونته ونكتب الجزء الثالث

من تفسير المزمور [المزامير]

الميمر المائة وواحد يتضمن تفسير المزمور ١٠١ يشير عن النعمة . وعن الحكم . وعن تدابير القديسين . وعلى ان في ظهور المسيح تفتر حركات الخطية والافك من الانفس . فاتحة القول (= على الهامش) . الذين تدربت حواس انفسهم . واستنارت احداس ضمايرهم . وتهذبوا بقراءة هذين الكتابين الذي وضعتها حقارتنا . المبعوثة الى محبة الله الساكنة فيك يا ابانا القديس . (رئيس دير كفر البيرة الذي طلب اليه وضع التفسير) . الان يقربون الى العمل الفايق الذي في قراءة هذا الكتاب الثالث الذي للمزامير . فان كان لم يفهموا ولا تدربوا باوليك . ولا ان قرؤا في هذا مرات متواترة . ليصيروا منتبهين مستعدين .

اما نحن اذا ما اعتمدنا على معونة صلاتك النير منفطمة عنا . فاخذ ايضًا التجربة ثالثًا لذلك في طريق تفسير تسابيح المرتل . اذ ندعو الله مترسلين ليكن لنا ميناً مسعفًا . ويسلك معنا . ويلهمنا ويعطنا كلمة بفتح الفم لنتطق ونكتب ونبرهن ونفسر . ونفتح المقفولات الالهية العميقة المستغلقة الفهم . المخفية في هذه المسمون مزمور الباقية لنا .

لان الاسرار المقدسة المكتوبة فيهم رقيمة سامية . وهم كمثل درج السلمة المنصوبة الى جهة العلى . التي كلما تصاعد الانسان بها . امتد الى نحور الرقيمات . وهكذا يمكن ان يوجد للمتفسرين في نهج هذه السلمة التي نصبها قدامنا السيد داوود . وكل ما ارتقينا بها فتدنوا الى رؤيا براهين وبيانات تعلو بعضها بعضًا . ومع ان كل السلمة مملوءة اسرارًا نيرة متواترة مصفوفة منتظمة في معارجها . لكن كلما تصاعدت بها النفس . تفتني قربى فاضلة وتسبيحة واهبة ووميض اشراقات قدسية والهية . من شمس البرارة المعقول لكيلا يبقى بها فيها بعد جزوءًا ما مظلمًا . ولكن كلها تصير نور وابنة نهار . لاجل قربها ولحوقها بالنور الحقيقي ☩ .

فاذن نتقدم للبحث في تفسير تسابيح المرتل . ومنهن نعلم كيف كان يتدرج ويرتقي في طريق الاسرار الالهية كما في سلمة : ولاجل ذلك لما كان يرتل اولًا يتقدم بعطي الطوبى للرجل الذي لم يسلك في طريق الخاطئين . وايضًا للذي لم يقف في مشورة المنافقين : ولما توسط كان كالسائل الغسل من دنس الخطأ . اذ يطلب ويتضرع بان يؤهل للرحمة وغفران الخطايا . ولذلك قال . ارحمني يا الله مثل كثرة نعمتك . ومثل كثرة مراحمك امح خطاياي . اكثر غسلي من اثمي ومن خطاياي نقني . والان لما ارتقى الى عدد المائة الكامل الدرجة الروحانية . امتد ايضًا في درجة المائة وواحد وليس يرتل بالفاظ منخفضة مثل الخاطئين . ولا بعطاء الطوبى للرجل الذي لا يسلك في طريق المنافقين . ولا يسأل غسلًا وطهرًا كالذي هم في الخطايا مدنسين . ولكن بعد ما امتد كثيرًا الى قدامه في طريق العدالة . وصار له قومًا صديقين نُدما . واخرج من بيته كل صانعي المكر . وطهر بكل نفسه من شيعات عاملي الزور . ولم يترك منطقًا كاذبًا يستقيم امام عينيه . بل عوض هولاء جميعهم . يخدموه رجالًا انقيا من كل عيب وخطا . كما كان هو . الذي منهم ايضًا اسف

المذكر (وعلى الهامش : ة ܡܕܡܪܢܐ اي صاحب تاريخ) . ذلك الذي كان يذكر داوود بطريقة العدالة . ذلك الذي ابتدأ يرتل عنه هذا المزمور وفي اصوات مقدسة رفيعة يغير صوته ويرتل : وكما تقدمت وقلت لاحن اسمه . ان هكذا كان ذو قوة ذاكرة . حتى انه كان يعرف باستظارة كل احكام وقوانين بيت الله . ويفهم كل افعال مملكة داوود بغير نقص . وكان بعد زمان يذكر داوود كلما يراد . ومن اي سبب تنتج مبادئهم . وايضاً وكيف تستند غايتهم . فلما رأى المغبوط داوود كيفية هذه المنحة التي خصته بها النعمة . وضعه مديراً كلياً في مملكته : وحافظاً للمعاهد الملوكية : وهذا يتفسر اسمه تذكار باللسان العبراني . اعني العقل الذي لا يضل . ولاجل ان السيد داوود عد ايضاً هذه موهبة من الله . هيأ له مثل هذا الرجل ليكون كلياً وقريباً . ترتل وقال : [الآية الاولى من المزمور] نعمة وحكم ارتل . ولك امجد يا رب . واسلك في طريقك التي لا عيباً فيها . حتى متى تأتي اليّ .

[التفسير] لماذا قال نعمة وحكم ارتل . ولاي سبب الحق الحكم للنعمة . لان الحكم لا يناسب النعمة . لكون حيث تكون نعمة فيبطل الحكم . وحيث يكون حكم . ليس يوجد هناك نعمة . لان الحكم عدالة هو . والنعمة والرحمة يرتفعون من الحكم . فاذن يوجد مطلباً في هذه الكلمة التي قالها المزمر . وينبغي ان نستعمل هذا الحكم الذي اضافه للنعمة . ان هذا الحكم يوجد نعمة بالمعنى . ولاجل هذا بغير نزاع نقول ان هذين المعنيين كليهما جاء الى التفسير بظهور عجائب . . . . [الخ] .

. . .

هذا بشأن الترجمة التي يظهر امرها لاول مرة في مقالنا هذا ، وكانت قبل مجهولة . اما صاحبها يوحنا الشامي فليس بمجهول .

ذكره الاب شيخو في كتابه «المخطوطات العربية لكتبة النصرانية» فقال : « يوحنا بن جرير ، هو القس السرياني الشامي الذي كان في اواسط القرن الثاني عشر ، وعرب عن السريانية كتاب الاثيقون لابي الفرج غريغوريوس ابن العبري » . (الكتاب المذكور : ٢٢١) .

واحصاه الاب جرافه في موسوعته القيمة الحديثة « تاريخ الآداب العربية المسيحية » . فذكر له كتب الهدايا والاثيقون والحمامة لابن العبري . (الكتاب المذكور : ٢ : ٢٧٨ — ٨٠ ؛ ٣ ج و ٢٧) .

فالقس يوحنا هذا هو هو صاحب ترجمة «تفسير المزامير» لدانيال الصلخي . وله آثار عديدة ، منها ترجمات ومنها منسوخات . وكان صاحب « كتّاب » او مدرسة في دمشق ، نعرف عدة كتب نسخت فيه وبعض نسّاخ تخرجوا فيه .

. . .

من الكتب التي ترجمها يوحنا الشامي ، ووصلت معرفتها الينا ، ما عدا تفسير المزامير ، الاثيقون والهدايا لابن البري ، وسفر المزامير الداودية وحماية القيامة :

تفسير المزامير : وقد سبق الكلام عنه مطولاً (اعلاه : ١٣٠ — ٧) .

الاثيقون : ومنه ثلاث نسخ : الباريسية رقم ٢٤٧ ، من خط تلامذته تحت اشرافه في الكُتّاب ، تاريخها سنة ١٦٣٦ م (زوتنبرج : فهرس المخطوطات السريانية : ٢٠١) ؛ والواتيكانية رقم ١٧٢ بخط يده ، تاريخها سنة ١٦٤٥ م (السمعاني : فهرس الواتيكانية : ٣ : ٣٤٥ — ٥٢) ؛ واللندنية التي لم نطّلع على تعاليق الفهرس عليها (روزن ومرشال : الفهرس : ٨٥) .

جاء في عنوان الترجمة وخاتمتها عبارات كثيرة قريبة جداً مما جاء في مثلها من ترجمة « تفسير المزامير : « نبتدئ .. ونكتب كتاب الاثيقون . . اخرجه من اللغة السريانية الى العربية احقر عباد الله وافقرهم القس يوحنا ابن الجرير الشامي ، وذلك كحسب امكان ضعفه ... » (المقدمة في الواتيكانية والباريسية) . « تَمّ وكمل هذا الكتاب المبارك . . والناسخ المسكين احقر الناس وارذلهم . . بالاسم قسيس وليس بالفعل ، الحقير القس يوحنا ابن الجرير ، نقله من السرياني الى العربي على يابس السرياني » سنة ١٩٥٦ يونانية ، ١٦٤٥ م ، ١٠٥٦ هجرية (خاتمة الواتيكانية) . وجاء بعد المقالة الاولى من الكتاب ، في الواتيكانية : « اخرجه من اللغة السريانية الى العربية كحسب الامكان الفقير كاتبه يوحنا الحقير في القسان[1] » (عن منقولاتنا) .

اما الباريسية ففي خاتمتها ، كما لخصت في الفهرس ، انها خطّت « بيد تلاميذ كتّاب الخوري يوحنا الزرباني » (الفهرس : ٢٠١) . وجاء في النبذة القديمة الموضوعة للباريسية في فهرس مكتبة الملك (١ : ٦٣) ما تعريبه : « ان الكاهن الشامي اليعقوبي ، ابن الجَرّار ، نقل الاثيقون الى العربية ، وفي حياته خطّ احد تلامذته هذه النسخة سنة ١٦٣٦ م » (فهرس الواتيكانية : ٣ : ٣٥١)[2] .

١) في الفهرس : « احقر القسان » .

٢) وتحسن الاشارة بكلمة الى ان لكتاب الاثيقون ترجمات اخرى . المعروفة منها واحدة للربان دانيال ابن الخطاب الماردين من الـ ١٤ (شباط : الفهرس : ١ : ١١) ؛ وثلاث

الهدايا : ومنه في دير الشرفة ، مخطوط رقمه ٤٠/٥ ، « كتبه بيده الفانية مخرجه من السرياني الى العربي ، كحسب الزمان ، العبد الحقير المذنب الى ربه والى نفسه والى ناسه الخوري يوحنا ابن المرحوم المعلم عبود ابن الغريز الزرباني . . . كتبه باسم شمس يوحنا ابن جبرائيل خادم الكنيسة المذكورة (مار بهنام) . وكان الفراغ من اكتتابه ثامن شباط يوم عيد سويروس » سنة ١٩٦٤ يونانية : ١٦٥٣ م (راجع مقولاتنا عن المخطوط ؛ انظر كذلك الطرفة في مخطوطات دير الشرفة : الخوري فسقوس اسحق ارملة : ٨٢) .[1]

ويحوي المخطوط الباريسي رقم ٢٢٧ عدة مؤلفات لابن العبري ، وفي مقدمتها بالكرشونية « كتاب الهداية . . تمّ وضعه ورتبه . . ابن العبري » كتبه في دمشق سنة ١٩٦٤—٥ يونانية : ١٦٥٣—٤ م « الخوري يوحنا ابن الجزير الزرباني » ، مصرحاً في خاتمته بانه ترجمه من السرياني الى العربي (الفهرس : ١٧٤—٦)[2] .

سفر المزامير : ومنه نسخة وحيدة في مكتبة اكسفورد ، رقمها ١٨ ، وتاريخها سنة ١٩٥٣ يونانية : ١٦٤٢ م ، في قسمها الثاني « كتاب زبور داوود » يليه التسبحات العشر ، عنوانه في الفهرس : « نسخة عربية للمزامير مخرّجة عن [النسخة اليونانية] السبعينية » . وجاء في آخره : « اللهم بجزيل مراحمك السيدية ، اغفر وسامح خطايا عبدك القس يوحنا ابن الجزير ناقله » (الفهرس : عامود ٦٦—٧) .

حماية القيامة : بالسريانية والكرشونية في المخطوط الباريسي رقم ١٧٥ ،

احرياث في اكسفورد رقمها ٦٨ و ١٧٥ و ١٧٦ ؛ خطت الاولى قبل سنة ١٥٧٣ والثانية سنة ١٤٧٩ والثالثة سنة ١٥٦٨ (فهرس بابن سيث : عامود ٢٤٠ و ٥٦٨—٧٦ ؛ برصوم : ٦٢٣) . ومنها نسخة عربية من سنة ١٦٩٩ ، مخطوطة في دير الشرفة ، سيجيء الكلام عنها فيما بعد (ص ١٤٦—٧) .

١) ومنه نسخة عربية من سنة ١٧١٦ في المتحف البريطاني سيجيء الكلام عنها فيما بعد (ص ١٤٦) .

٢) جاء في اللؤلؤ المنثور (٦٢٣) انه « في اواخر القرن الـ ١٦ ، نقل [كتاب الهدايات] بعضهم الى العربية بأسلوب يعثر بين اللحن والركاكة » . ومن المحقق ان ثلاثة فصول من هذا الكتاب بالكرشونية بجوارها مخطوط اكسفورد رقم ١٦٦ المنسوخ حوالي سنة ١٥٨٩ م . (الفهرس : عامود ٦٦٨—٧٠) . وفي دير الشرفة نسخة كرشونية منه قديمة وبدون تاريخ . زيد على ورقتها الاخيرة انها خطت سنة ١٧٥٠ . ولم يرد ذكرها في « الطرفة » .

منسوبة لداود القيفي (الفهرس : ١٢٣) ؛ والكرشونية فقط في المخطوط الباريسي رقم ١٦٨ ، المنسوخ سنة ١٦٧٨ م ، منسوبة فيه ترجمتها العربية الى «الاسقف مار غريغوريوس المعروف بابن عبود الجزيري» (ثمّ : ١١٩). والمخطوطان من نسخ موسى ابن الكنّ (انظر ما بعد : ص ١٤٥ حاشية ٢) :

. . .

اما الكتب التي نسخها يوحنا الشامي بيده ، ما عدا السابق ذكرها ، فهي على ما نعرف :

كنز الاسرار لابن العبري ، بالسريانية : نسخه عن مصحف قديم من سنة ١٣٥٤ م ، مأخوذ عن الاصلي الذي كتبه ابن العبري بيده سنة ١٢٧٨ م . وجاء في المقدمة : « هذا كتاب كنز الاسرار ... كتبه بيده الثانية عبد عبيد يسوع المسيح واحقر وافقر كهنته ، الخوري يوحنا الزرباني ابن الجزيري الشامي .. في سنة ١٩٤٥ » يونانية : ١٦٣٤ م . وفي الخاتمة : « ربنا والهنا ومسيحنا يسوع المسيح .. اغفر وسامح خطايا عبدك القس يوحنا ابن عبود ابن الجزيري الذي اعتنى واهتم بكتبة [بكتابة] وتجديد هذا الكنز العظيم ... جزى ذلك وحرر في تاريخ مبادئ سنة ١٩٤٦ يونانية » : ١٦٣٥ م . وهذا المخطوط محفوظ في مكتبة المدرسة المارونية برومية العظمى (عن السمعاني : المكتبة الشرقية : ٢ : ٢٧٧—٨)[1] .

كتاب الاضواء او اللمع ، وهو غراماطيق مطوّل لابن العبري ، بالسريانية : أتمّه : « الخوري يوحنا الزرباني ابن الجزيري الشامي سنة ١٩٧٥ يونانية (١٦٦٤ م) عن نسخة كتبت سنة ١٩٣٠ يونانية (١٦١٩ م) . وصححت وحركت بيد الاسقف غريغوريوس سنة ١٩٦٤ يونانية : (١٦٥٣ م) » . وهذا الكتاب يؤلف القسم الاول من المخطوط الباريسي رقم ٢٥٩ (الفهرس : ٢٠٦—٧) .

١) ومن هذا المؤلف لابن العبري نسخة كرشونية ؛ روى السمعاني (ثمّ) عن رينودوت انها محفوظة في المكتبة الماديتية بفلورنسا . وقد أكد ذلك رينودوت في كتابه « مجموعة الليتورجيات : (٢ : ٤٧١) . وعدنا الى فهرس هذه المكتبة لواضعه المطران اسطفان عواد السمعاني فوجدنا رقمها فيه ٢٦ ؛ وتاريخها سنة ١٢٧٧ ؛ وهي بالسريانية وليس بالكرشونية (الفهرس المذكور : ٦٥ وما بعد) . وذكر غبطة البطريرك برصوم ان في هذه المكتبة اقدم نسخ الكتاب : « كتبت في حياة المؤلف عام ١٢٧٥ » (ثمّ) .

كتاب الحمامة او الورقا. ؛ لابن العبري ؛ بالكرشونية : ذكر الاب شباط في «مكتبة مخطوطاته» (٢ : عد ٩٠٠) : «كتاب الورقا. في طريقة الارتقاء ؛ لجزيل بيد القس يوحنا ابن الجريز الزربابي الشامي في نهار الاثنين اواخر ايلول الذي هو ختام سنة ١٩٥٩ يونانية [١٦٤٨م] وذلك برسم الكاهن الهاروني القس عبد الاحد»[1].

رسالة نصراني الى مسلم بالكرشونية : في المخطوط الباريسي رقم ٢٠٤ ، (ور ١٢٤—٢٤٤) : نسخها سنة ١٩٦٨ يونانية [١٦٥٧ م] ، عن مصحف تاريخه سنة ١٤٨٤ يونانية [١١٧٣ م] الخوري يوحنا الزربابي الشامي للشماس موسى بن برصوما من حلب (الفهرس : ١٥٥—٦) .

كتاب رتب ، بالكرشونية : يشتمل على رتب الزواج والخطبة والقنديل والاعتراف : في المخطوط الباريسي رقم ١٠٩ ، « كتب برسم اخينا خوري موسى عُرف بابن الكنّ وذاك بيد احقر عباد الله تعالى خوري يوحنا الزربابي عُرف بابن القريز في سنة ١٩٧٧ يونانية » ١٦٦٦ م . (الفهرس : ٧٠٦٦ وعن المخطوط في منقولاتنا) .

الانجيل يوحنا ، بالكرشونية : في الجزء الاول من مخطوط اكسفورد رقم ١٨ ، الحاوي ترجمة « كتاب زبور داوود » في جزئه الثاني (انظر اعلاه) . جاء في خاتمة الانجيل : « جرى وحرر في ٢٩ من آب بيد الفقير الحقير عبد عبيد كهنة يسوع القس يوحنا ابن الجريز » وعلى الهامش « سنة ١٩٥٣ يونانية » : ١٦٤٢ م (الفهرس : عامود ٦٦ —٧) .

مواعظ غريغوريوس الثاولوج ، بالكرشونية : في المخطوط الباريسي رقم ١٩١ . وقد لخص الفهرس خاتمته هكذا : « اتمّ هذا المخطوط للبطريرك مار

---

١) ومنه نسخة عربية بحوزتها المخطوط الباريسي رقم ٢٠٦ ، في ورقاته ٥٦—١٠١ . « . . نكتب ترجمة كتاب يسما الحمامة ، ترتيب الاب المفريان ابن العبري » كتبه الشماس بطرس بن يعقوب الحربري (الفهرس : ١٥٥—٦) .

ويفيد غبطة البطريرك برصوم ان منه « نسخة قديمة في جامعة شيكاغو كتبت سنة ١٢٩٠ م ونسخة في اكسفورد من حوالي سنة ١٦٩٨ م (ثم : ٦٣٦) .

وفي دير الشرفة ترجمة قديمة منه في مخطوط رقمه ٩/١٨ ، كمل سنة ١٩٠٧ يونانية : ١٥٩٦ م. (الطرفة : ١٩٥) .

بهنام سنة ١٩٨١ يونانية ١٦٧٠ م | اسقف (القدس ؟) غريغوريوس (يوحنا الشامي) ، الذي اضاف على الهوامش شروحاً وتصحيحات عديدة » (الفهرس : ١٣٢—٣) .

مواعظ اثناسيوس بطريرك اورشليم ، بالكرشونية : في المخطوط البودليانى في اكسفورد رقم ١٣٩ . جاء في خاتمة جزئه الاول ، الحاوي المواعظ السنوية للآحاد : « تمّ على يد احقر عباد الله الخوري يوحنا ابن الجرير المذنب . وذلك في تايم (؟) ليلة عيد التجلي سنة ١٩٦٤ يونانية » ١٦٥٣ م ؛ وفي خاتمة الجزء الثاني (ور ٢٤١—٢٨٧) الحاوي مواعظ بعض الاعياد الثابتة : « وكان النجاز من نساخة هذه العظات المباركة . . . يوم الخميس المبارك ثاني يوم في شهر ايلول سنة الف وتسع مية واربع وستون يونانية [١٦٥٣ م] وذلك بيد مبدع الخطايا الدنسة ، ومنشئ الافعال الرجسة ، الناخص بجملته الى الذاهبات ، المتهافت كالوحوش على الرمم البالية ، الفقير الى رحمة ولطف يسوع المجيب ، الذي هو لمن يطلبه قريب ، الحقير الخوري يوحنا الشامي الزربابي ابن المعلم عبود المرحوم الجرير . . . كتبته . . لاب السريان . . ابينا مار اغناطيوس بطريرك المشرق والمغرب الملقّب بشمعون . . لما حضر لزيارة رعيته في الشام المذكورة ، في سنة تاريخه . . » (الفهرس : عامود ٤٤٠—٧) .

وقبل هذه الخاتمة الطويلة ترد قصيدة « شعر للكاتب » من ٣٤ بيتاً تنتهي ، اي القافية تارة « اني » وتارة « ان » . ويتخلل الابيات بين السطور بعض حواشٍ وجيزة (الفهرس : عامود ٤٤٤) .

كتب مختلفة لابن العبري : الاحداق في المنطق وما اليه بالسريانية ، حديث الحكمة بجملتين سرياني وكرشوني ، الاسرار الالهية الخفية او كتاب هيرتاوس بالسريانية : في المخطوط الباريسي رقم ٢٢٧ الحاوي ترجمة كتاب الهدايا (انظر اعلاه) ، كتبه في دمشق سنة ١٦٥٣—٤ ، الخوري يوحنا ابن الجرير الزربابي . (الفهرس ١٧٤—٦) .

. . .

وما عدا هذه الكتب المنسوخة بيد يوحنا الشامي وحده ، نعرف كتباً اخرى كثيرة اشرف على نسخها او ترجمها في كتّابه ، وعاون ناسخيها او مترجميها .

منارة الاقداس لابن العبري ، ترجمها الى العربية ولده الشماس سركيس تحت نظره واشرافه ، وقد يكون الوالد نقّح ترجمة الابن . دليلنا الى ذلك المخطوط الباريسي رقم ٢١١ ، المنسوخ بالكرشونية سنة ١٩٧٢ يونانية : ١٦٦١ م. وقد نسخ في كتّاب الحوري يوحنا الزربالي الملقب بابن الجرير الشامي على يد تلامذة الكتّاب (الفهرس ١٦٣ — ٤) . وجاء في آخره : «وقد تقابل وتصحح على النسخة الاصلية السريانية . ثم تقابل على النسخة التي اخرجها المرحوم الشماس سركيس ، حسب الامكان» (ثم) . ولا يمكن ان يجري كل ذلك في الكتّاب بدون اشتراك رئيسه ومديره وتحت اشرافه وقيد اشارته . بل هذا يفيد ان تلامذة الكتّاب ترجموا المنارة وقابل معلمهم ترجمتهم على الاصل السرياني رأساً وعلى ترجمة ولده سركيس .

وفي يقيننا ان ترجمة سركيس قد تمّت على هذا الشكل . فمنها في دير الشرفة نسخة عربية رقمها ٣/٣ ، جاء في آخرها : «اخرجه من اللغة السريانية واعتنى به المنتقل الى رحمة الله تعالى ورضوانه ، الشماس سركيس بن يوحنا الدمشقي الزربالي . . وقد نجز . . بتاريخ سنة الفين وستمئة [وستين] لليونان . . .»: ١٦٩١ م. (الطرفة : ٣٢٩ ومنقولاتنا عن المخطوط) .

ومنها نسخة كرشونية في المتحف البريطاني ، رقمها ٧٢٥ ، من سنة ١٧١٤ م كتبها في حلب الاسقف عبد الاحد الازلي (انظر ما بعد : ص ١٤٦) . وفي آخرها قصيدة من نظم يوحنا الشامي ، اورد الفهرس البيتين الاولين منها ، (الفهرس : ٢ : ٦٢٩) . فايراد القصيدة في آخر ترجمة منارة الاقداس ، ونسبة يوحنا الشامي بكتاب الاصول ، يفيدان على الاقل ان ليوحنا اشتراكاً في الترجمة او النسخة ان لم يكن صاحبها .

وقد وردت هذه القصيدة عينها في ختام نسخة عربية من منارة الاقداس ، محفوظة في دير الشرفة ، رقمها ٣/٣ ، بدون تاريخ ولا اسم الناسخ (الطرفة : ٣٢٨) . ولا شك انها من طائفة النسخ المار ذكرها ومن عهدها[1] .

١) طالعنا هذه القصيدة في مخطوط الشرفة وعدد ابياتها ١٦ ؛ فاذا هي في غالبها لا تستحق الذكر بشيء . وهذا مستهلّها :

رامي الذي احيى في كتبك الغرر شرفه بالرفعة في بحبّك الثاني

وفي اكسفورد مخطوط عربي يحوي منارة الاقداس لابن العبري ، وتنسب فيه ترجمتها الى الشماس سركيس بن يوحنا الزربابي الشامي (فهرس نيكل وبيوزي : ٢ : ٤٥١ ، عن زوتنبرج : فهرس المكتبة الوطنية : ١٦٩)[1] .

المخطوط الباريسي رقم ٢٠٨ ، كتب جزءا منه «الشماس بطرس ابن يعقوب الحريري» (ور ٢٥—١٢٤) بمواضيع مختلفة منها « ترجمة كتاب يسما الحمامة » لابن العبري ، بالعربية (ور ٢٦—١٠١) ؛ وكتب جزءا آخر يوحنا الشامي (ور ١٢٤ — ٢٤٤) (انظر ما سبق ، ص ١٤١) . والباقي ، على ما جاء في الفهرس ، يرجع عهده كالسابقين الى القرن الـ ١٧ (ور ١—٢٥ و٢٤٤—٣٠٨ ؛ الفهرس : ١٥٥—٦) . فكل هذه المعلومات تسوغ لنا القول ان هذا المخطوط قد كتب في مدرسة يوحنا الشامي بخطه وخط تلامذته تحت اشرافه .

المخطوط الباريسي رقم ٢٠٩ ، المنسوخ سنة ١٩٥٦ للاوتان : ١٦٤٥ م ، يشتمل على مواضيع مختلفة بالسريانية ، اي اسباب الأعياد ، وضد نسطور ، وشرح القداس لبرصليبي وميمران احدهما بالسريانية والآخر بالكرشونية ، جاء

عيني التي احدقت بحدبقة اسفارك يصفر لها زاهر زهرير جنانِ
يدي التي رسمت موضوع اسرارك لا يكُ لها سهماً في حرّ نيرانِ
وختامها : واغفر لمن غرّا فضلات الكتبة وخطّيه عزهم باعفاجم رانِي
يخطي بذيل حميد سعيد مقصدهم وان يفتظم خادم لا ناظم اوزانِ
والحمد يصمده قُ موجده عبداً لكم حنا الكاتب الفانِي

وقد وردت هذه القصيدة كذلك في آخر كتاب المواعظ السنوية لمار اثناسيوس بطريرك اورشليم . وجعل الفهرس من ٣٦ شعرًا . وقد يكون عدّ البيت شعرين والكتاب من خط صاحب القصيدة (انظر ما سبق : ص ١٤٣) .

١) من منارة الاقداس المترجمة ، نسخة بالكرشونية في دير الشرفة ، رقمها ٩/٣٨ ، كتبها سنة ١٧١٦ م القس سليمان بن مطر من صدد (الطرفة : ٣٠٢—٣) ؛ ولا يذكر فيها مرجمها او مصدرها : اهو مركيس ام غيره .

ويذكر الاب شباط ان للربان دانيال ابن الخطاب (كذا) اليعقوبي الماردينيّ من القرن الـ ١٤ « تعريب منارة الاقداس لابن العبري ، محفوظة نسخة منه في مكتبته رقم ١٣٥ : ٢ ، ونسخة اخرى في القدس » (الفهرس ١ : ١١) . وانكر ذلك غبطة البطريرك برصوم وخطأه بيه « الراهب شيخو » (اللؤلؤ : ٤١٦ ، حاشية) حيث يذكر ان الشماس مركيس نقل كتاب المنارة الى العربية سنة ١٦٦١ م . وقد رأينا ان المخطوط الباريسي رقم ٢١١ المنسوخ تلك السنة يدعوه « المرحوم الشماس مركيس » .

في اوله هذه العبارة بالكرشونية : « اعلم ان هـذا الكتاب كتبوه الاولاد ابنا. الكُتّاب وهو مصحّح فلكن خطّه مخلف » (متنوع) ، والعبارة، بحسب الفهرس ، من خط موسى ابن الكنّ (الفهرس : ١٦٠—١) . فلا ريب ان المقصود باولاد الكتاب تلامذة يوحنا الشامي ، يثبت ذلك من الحاشية الواردة فيه بالعربية (ص ٣٨٠) وهذه حرفيتها ، كما نسخها لنا احد اصدقائنا : « من كتب احقر وافقر خلق الله تعالى اسقف يوحنا المعروف بابن الغريز باسم عريغوريس »[1] . فيكون ان تلامذته كتبوه سنة ١٦٤٥ وتركوه له فزاد فيه هذه العبارة بعد ارتقائه الاسقفية ، وان لهُ يداً فيه .

بيان من المخطوط السابق ذكره ومن غيره ان كتّاب يوحنا الشامي كان قائماً حذاء كنيسة مار بهنام بدمشق . جاء في مخطوط اكسفورد رقم ١٣٩ ، الذي نسخه يوحنا الشامي بيده، انه كتبه «في حما القديس مار بهنام عليه السلام» (اعلاه : ص ١٤٢) ، وفي نسخة الشرفه رقم ٥/ انهـا كتبت « في حضرة وحمى صاحب الايات والبرهان مار بهنام، عليه السلام، في كنيسته المعمورة دائما مدى الزمان ، في مدينة دمشق الشام . . . » (اعلاه : ص ١٣٩) . والحال ان موسى ابن الكنّ ، كما صرح في ختام احدى منسوخاته ، كان خادم كنيسة مار بهنام هذه . وقد نسخ له يوحنا الشامي كتاب رتب (اعلاه : ص ١٤١) . كما نسخ كذلك كتاب الهدايا لمعاونته في خدمة الكنيسة الشماس يوحنا ابن جبرائيل (اعلاه : ص ١٣٩) . فلم يعد من تثريب في القول بتعاونهما في العمل بل يمكن الترجيح ان موسى ابن الكنّ كان من تلامذة يوحنا ، ثم صار معاوناً له ، واخيراً خلفه في الكتّاب .

ولا بأس ان نزيد هنا ان لابن الكنّ في المكتبة الوطنية الباريسية ثمانية مخطوطات[2] . نكتفي بنقل خاتمة واحد منها ، هو المخطوط رقم ١٦٨ ، وهيا

---

١) جاء في الفهرس غلطاً « اسقف يوحنا ابن العزيز » غريغوريوس » (ص ١٦١) .

٢) رقم ١٠٧ رتب العباد بالسريانية والكرشونية ، سنة ١٩٨٨ يونانية : ١٦٧٧ م ؛ — رقم ١٢١ و١٢٣ : فرض الجنازات وما اليها بالسريانية والكرشونية ، من القرن الـ ١٧ ؛ — رقم ١٦٣ المدعدان اي الرتب والرياحات لبعض الاعياد، بالسريانية والكرشونية ، من الـ ١٧ ؛—

الكندية عن امه وعمه وخطلته : « وكان الفراغ منه في نهار الاربعاء ، اواخر شهر كانون الثاني ، وذلك في سنة الف وتسع مائة وتسعة وثمانين للاسكندر ابن فيلبس اليوناني وهو الموافق الى تاريخ الهجرة وذلك في ١٧ ذي الحجة في سنة الف ومائة وثمانون . وذلك على يد الحقير الاثيم الخاطي موسى باسم خوري مكنا خاطوم ابن حنون ، عرف بالكنز ، وهو برسم بيعة القديس العظيم البطل الشجاع مار تودروس في القرية العامرة صدد . فالرجاء من كل ابر او اخ . . . » (عن منقولاتنا عن المخطوط : ور ١٩٢ ق[1]) .

ومن تلامذة يوحنا الشامي ، الاسقف عبد الازلي ، صاحب المخطوط ٧٢٥ في المتحف البريطاني المنسوخ سنة ١٧١٤ (اعلاه : ص ١٤٣) . فقد ختمه بعبارات تذكرنا بمثلها في مخطوطات يوحنا الشامي : « وكان منتهى كتابته سنة الفين وخمسة وعشرين من سني اليونان ، الموافق لسنة الف وسبعماية واربعة عشرة مسيحية ، في اواخر شهر ربيع سنة الف ومائة وستة وعشرون هجرية ، بيدين نحيفات خاطئات ، والى العدم زائلات ، عبد عبيد يسوع الجليل ، بالاسم اسقف عبد الازلي ، وبالفعل اثيم سقيم ذليل خاطي ضئيل . . . » (الفهرس : ٢ : ٦٢٩) .

وفي اخر الكتاب قصيدة يوحنا الشامي المحكى عنها (اعلاه : ص ١٤٣) تحت هذا العنوان «خاتمة منظومة لكاتب الاصول معلمي اسقف يوحنا الشامي» . فقوله « معلمي » يفيد انه تلميذه .

وفي دير الشرفة نسخة عربية من كتاب الايقون لابن العبري رقمها ١١/٨٠ ، كتبها « الخوري عبد المسيح الكاثوليكي المذهب . سنة ٢٠١٠ للاسكندر » :

رقم ١٦٨ : حسابات للاعياد المتنقلة ، بالكرشونية ، سنة ١٩٨٩ يونانية : ١٦٧٨ م ؛ — رقم ١٧٥ : حسابات للاعياد السيدية وللاحاد بعد العنصرة ، بالسريانية ، من القرن ١٧ ؛ — رقم ٢٢٨ : الهدايا لابن العبري ، بالكرشونية ، سنة ١٩٩٣ يونانية : ١٦٨١ م : ١٠٩٣ هجرية ؛ وفيه يصرح بانه خادم كنيسة مار جنام ؛ — رقم ٢٧٤ : الاحاديث الفكاهية لابن العبري ، بالكرشونية ، سنة ١٩٨١ يونانية : ١٦٧٠ م . (الفهرس : ٦٥ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ١١١ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٧٦ و ٢١٢) .

١) ذكر غبطة البطريرك يرسوم في « ثبت مشاهير المخطاطين » في القرن ١٦ : « ٢٦٩ : الخوري موسى خاطوم ابن الكنز النبكي ، [سنة] ١٦٦١ م » (اللؤلؤ المنثور : ٤٩٥) .

١٦٩٩ م (الطرفة : ٤٠١) . بل تكون مأخوذة عن ترجمة يوحنا الشامي وهي معاصرة لها ، ويكون ناسخها من تلامذته ؟

وفيه نسخة عربية لمنارة الاقداس رقمها ٣/٤ (اعلاه : ص ١٤٣) . وهي بقلم الشماس نعمه ابن الخوري توما والشماس نعمه ابن قدسي الذي ارتقى مطرانية دمشق على السريان. وقد اخذاها عن ترجمة سركيس بن يوحنا الشامي سنة ١٦٩١ م (الطرفة : ٣٢٩) . فعلاقتها بيوحنا الشامي ظاهرة من تاريخها ومرجعها ومكانها . ولا يبعد ان يكون الشماسان من تلامذة كُتّابه.

وفيه نسخة عربية من كتاب الهدايا لابن العبري رقمها ٤/٦ ، « نجزت على يد الشماس حنا ابن المقدسي سنة ١٧١٤ (الطرفة : ٨٣) . فقد تكون وليدة ترجمة يوحنا الشامي لهذا الكتاب ، مأخوذة عنها بخط احد تلامذته .

. . .

اما وقد عرفنا كل ما سبق ذكره عن يوحنا الشامي ، فاصبحنا في وسعنا ان نستخلص ، مما علّقه على منسوخاته، معلومات وافية عن هويته وحاله، وعناصر كافية لقدر علمه وعمله .

وقبل المضيّ في الكلام ، لا بدَّ لنا من اثبات لقبه على الوجه الصحيح . فهو ليس ابن الجرير او الجُرَيْر، ولا ابن جَرير او جُرير ، كما قرأه وكتبه المؤلفون بالعربية والفرنجية حتى الآن ، بل ابن الغُرير ، بالغين المعجمة المضمومة.

ان العلامة السمعاني ، في « المكتبة الشرقية » ، عند كلامه عن كتابي الانيقون وكنز الاسرار ، الاول من ترجمة يوحنا الشامي والآخر من نسخه ، ينقل الكلمة الكرشونية على اصلها وحتّها : [illegible] . بجيم معجمة تحتها نقطة ، وهي تقابل الغين العربية ، كما سترى . لكنه باللاتينية ينقل هذه الكلمة ثلاث مرات كاتباً : « الجَرير » (المكتبة الشرقية : ٢ : ٢٧٨ في موضعين و ٣٠٣)[1] .

اما في فهرس المكتبة الواتيكانية ، الذي وضعه بعد كتابه السابق ، بالاشتراك مع ابن اخته المطران اسطفان عواد السمعاني ، فانه يكتب عادةً وغالباً الجيم الكرشونية مهملةً بدون نقطة ، سواء قابلت الجيم او الغين العربية .

(١) ebn Garir, — filius Garir, — Garir filius

وهكذا كتب مرتين اخ ﻟﺠﻤﻪ بالجيم المهملة ، ونقلها باللاتينية « ابن جرير » (الفهرس : ٣٤٩:٣—٥١) . وقد يكون حداه الى نقل الكلمة مصغرة على هذا الشكل ما قرأه في النسخة القديمة الموضوعة للنسخة الباريسية من ترجمة الاثيقون (رقم ٢٤٧ حالياً) ، ونقله عنها في فهرسه ، وقد جاءت فيها الكلمة باللاتينية « ابن جُرير » (ثم : ص ٣٥١)[1] .

اما العالم باين سميث ، في فهرس المخطوطات السريانية في اكسفورد ، فانه يكتب دائماً الجيم الكرشونية معجمةً بنقطة تحتها ، سواء قابلت الجيم او الغين العربية . واجتمع له ذلك في جملة واحدة : « اللهم بجزيل (ﻟﺠﻤﻪ) مراحمك السيدية ، اغفر (ﻟﺠﻤﻪ) وسامح . . » (الفهرس : عامود ٦٧) . ولهذا تراه ينقل الكلمة الكرشونية مكتوبة بالعربية مرة واحدة « ابن الجرير » بدون حركة (ثم : ٤٤٣) وباللاتينية مرتين « ابن جرير » (ثم : ٧٦) ، ومرة ثالثة « ابن جُرير » (ثم : ٤٤٦)[2] .

ونقل اللقب على وتيرة واحدة ، في فهرس المكتبة الوطنية الباريسية ، هكذا « ابن الجرير » (الفهرس : ٦٧ ، ١١٩ ، ١٦٤ ، ١٧٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٧)[3] .

وقد استغربنا ان يفوت هذا الامر حضرة صديقنا الخورسقف اسحق ارملة ، على سعة اطلاعه ودقة معرفته للسريانية والكرشونية . فعند كلامه عن كتاب الهدايات لابن العبري من ترجمة يوحنا الشامي ، قرأ وكتب « ابن الجرير » بالعربية ، مع ان اللفظة الكرشونية بالجيم المعجمة : اخ ﻟﺠﻤﻪ ، كما رأينا بعينا في مخطوط الشرفة رقم ٥/ (الطرفة : ٨٢) .

---

١) Gorairi filius . وقال : الا يمكن القول بان المقصود هنا «ابن غرير» ؟ فنستبعد ذلك اقلّه فيما خصّ السماني لانه اراد الجيم العربية بالحرف اللاتيني G في «المكتبة الشرقية» (اعلاه) .

٢) filii Jariri, — filio Jariri, — fil. Jorairae . ولا نظنه يريد الغين في الموضع الاخير . لانه ينقل اسم غوسطا (ﻏﻮﺳﻄﺎ) بالكرشونية فيكتبه بالعربية « جوسطا » (ثم : ٣٤٠ و٦٦٧) ، كأنه لم يخطر له على بال ان الجيم المعجمة ﻟﺠ تؤدي الغين ، حتى في اسم غوسطا ، مع انه نقله باللاتينية مرة Augusta (اوغوسطا (ثم : ٣٦٧) ، ومرة اخرى ، عن غيره ، Ghusta, s. Gusta (ثم : ٦٦٧) .

٣) مرة واحدة ,fils de Jarir والباقي Ibn al-Jarir .

وهذا ما حدث كذلك للاب شباط في « مكتبة مخطوطاته » (٢ : ٩٠٠) ؛ وقبله للاب شيخو ، وبعده للاب العلم جورج جراف في موسوعته القيمة . فقد نقل عمن سبقوا فكتب كما كتبوا (اعلاه : ١٣٧)[1] .

نقول ان نقل اللقب من الكرشونية الى العربية او الفرنجية على الوجه المبسوط ، اي ابن الجرير على انواعه ، خاطئ ؛ والصحيح فيه « ابن القُرير » ليس الا .

طالعنا بذاتنا كتابين من خط يوحنا الشامي ، مخطوط بكركي (اعلاه) ومخطوط دير الشرفة رقم ٤/٥ (اعلاه : ص ١٣٩) ، فاذا الجيم السريانية معجمة دائما فيها بنقطة تارة في وسطها تقابل الجيم العربية ، وتارة تحتها تقابل الغين . وعلى هذا درج النساخ في الماضي حتى زماننا[2] .

ان يوحنا الشامي كتب لقبه بجيم معجمة تحتها نقطة في المخطوطين الواتيكاني رقم ١٧٢ واكسفورد رقم ١٨ كما ورد نقله في الفهارس (اعلاه : ١٣٨). وكان من حسن حظنا ان بين محفوظاتنا ومنقولاتنا توقيعين بالكرشونية ليوحنا الشامي مع لقبه . طالعناهما بذاتنا فاستوعبنا انتباهنا ونقلناهما على حالهما . احدهما في المخطوط الباريسي رقم ١٠٩ حيث كتب اللقب بالجيم المعجمة تحتها نقطة « خوري يوحنا الزرباني ، عُرف بابن القريز دام [illegible] (المخطوط : ور

---

(١) مررنا اذ عثرنا على ما يوافق قولنا في «اللؤلؤ المنثور» ، ولكن بعد اكتشافنا بذات حقيقة اللقب . ذلك اننا لم نجد فيه في « فهرس الاعلام » (ص ٥٢٣–٥٤٠) ذكر يوحنا الشامي ، ولا ذكر « ابن جرير » كما نقله البنا المؤلفون ، ولا اسم عريفوريوس الاسقف يوحنا الشامي . ولما نوقفنا الى معرفة اللقب على حقه ، عدنا الى «اللؤلؤ المنثور» ، فوجدنا في « فهرس الاعلام » اسم « يوحنا بن غرير ٦٦٢ : ٦٦١ » (ص ٥٤٨) و« سركيس بن غرير ٦١٦ : ٦١٧ » [والصحيح ٦٦١] (ص ٥٤٠) . والقول « غرير » لم يرد في واحد من المخطوطات التي درسناها ، بل « القريز » مثقلة .

وعلى كل حال ، قد استغربنا بصواب ان يفوتني غبطته عن تحية هذا العالم السرياني بعدد في مؤلفه الجليل القدر ، شأنه مع ادنى منه في اقرانه ، وان يكتفي له بسطرين فقط في ختام العدد ٢٧٢ (ص ٤٦١) ، الذي افرزه لابنه الشماس سركيس : وتراث الابن الادبي كتاب واحد ، قد يكون كله او بعضه على الاقل من فيض كنز الوالد .

٢) اما النائب الآن في لبنان فأن تنقل الجيم العربية بالجيم السريانية مهمة والذين جا معجمة بنقطة في وسطها .

١٨٥ والفهرس ٦٧) . والآخر في المخطوط الوانيكاني رقم ١٧٢ ، فيه اللقب فيه كما في السابق ، بزيادة حركة الضم السريانية (أدم : ـُـ) فوق الجيم المعجمة : أحم الجُزْمة (المخطوط : ور ٢١٠ والفهرس : ٣ : ٣٥١) . وكان هذا الامر من توفيق العناية الربانية ، فيه اهتدينا الى وجوب تصحيح اللقب على الشكل الذي ابتناه . وكان لنا مؤخرًا مزيد توفيق بقراءة اللقب على الشكل عينه في مخطوط دير الشرفة .

وشئنا المزيد من استثبات الامر بالحصول على توقيع بالعربية ليوحنا الشمي فبدانا الله اليه . ذلك ان في المخطوط الباريسي رقم ٢٠٩ (ص ٣٨٠) عبارة بالعربية لخّصها صاحب الفهرس كما يلي :« كان هذا المخطوط قد دخل في حوزة الاسقف يوحنا ابن العزيز ، غريغوريوس » (الفهرس : ١٦١ ، عامود ١)[1] .

فقلنا ان ابن العزيز هذا الوارد اسمه « الاسقف يوحنا غريغوريوس » في مخطوط من سنة ١٦٤٥ ، معاصر لصاحبنا ابن الغرير ، وقد « كتبوه الاولاد ابناء الكُتّاب » ، كتّابه الذي تكلمنا عنه ، كما يوضح ابن الكنن معاونه ، لا يمكن ان يكون الا « ابن الغرير » ، قراه واضع الفهرس غلطًا « ابن العزيز ». وما اسهل مثل هذا الغلط على ابناء اللغة انفسهم ، فكيف به على الاجنبي !

وعليه استنسخنا هذه العبارة بدقة ، مع النقاط والحركات وخصوصًا كلمة عبد العزيز ، فجاءتنا منقولة بعناية ، بل كانها مصورة ، مع تقليد الخط بحسب الامكان ؛ وهذه هي :« من كتب احقر وافقر خلق الله تعالى اسقف يوحنا المعروف بابن الغرير باسم غريغوريس » ، وهي بخط يده بدون ريب ، من النعوت الواردة فيها التي لا ينعته بها سواه . فكان بهذه العبارة فصل الخطاب[2] .

وعليه فصاحبنا يدعى يوحنا ، وبعد اسقفيته غريغوريوس يوحنا[3] . والده المعلم عبود . نسبته الشامي والزرباني . وغلبت الاولى . ووردت كل منهما مرة

(١) Ce ms. avait appartenu à l'évêque Jean Ibn al-Aziz, Grégoire.

(٢) الفضل بنقل العبارة لصديقنا حضرة المطران يوسف الغنالي استاذ اللغة الآرامية في الكلية الكثوليكية بباريس – فله الشكر .

(٣) ذكر يوحنا ٢٧ مرة في المخطوطات التي درسناها . وورد اسمه حنا مرتين فقط ، في مخطوط بكركي . وبعد اسقفيته دعي غريغوريوس يوحنا مرتين ، ويوحنا غريغوريوس مرة ، ويوحنا مرة ، وغريغوريوس مرة .

وحدها وتارة مقرونة بالاخرى بتقديم وتأخير . وقيل الدمشقي بدلاً من الشامي مرة واحدة . وقد تكون الزربابي نسبة الى زربه الواقعة جنوبي حلب الى غربيها[1] . واللقب او الكنية ابن الغُرير ، كما اثبتنا[2] .

ومن الراهن ان اللقب يلصق بالشخص لاعراض منها ان يكون علامة عليه ، يجيء مدلوله مطابقاً لصفة متغلبة فيه على غيرها . ولقب « ابن الغرير » يطلق على من كان سمين الجسم . واستعماله شائع حتى اليوم في لبنان[3] .

ويظهر ان اللقب علق بعبود والد يوحنا ، او لزمه ممن تقدمه من عائلته ، وورثه عنه يوحنا . فقد جاء مقروناً باسم عبود في اربعة مخطوطات[4] .

اما كيفية اتساق عناصر الهوية ، فتتنوع كثيراً . فالاسم يرد في البد-

---

١) وردت النسبة « الشامي » ١٦ مرة : ٧ مرات وحدها و ٩ مرات مع «الزربابي»؛ والنسبة « الزربابي » ١٢ مرة : ٣ مرات وحدها و٩ مرات مع الشامي . ولم ترد الاولى ١١ مرة والثانية ١٥ مرة . ولم ترد كلاهما ٨ مرات .

وردت « الشامي » في عهد قوسيته ٧ مرات : ٤ وحدها ، و٣ الزربابي الشامي ، ومرة الشامي الزربابي ؛ — وفي عهد خورنيته ٤ مرات: الشامي الزربابي مرة ، والزربابي الشامي ٣ مرات ؛ — وفي عهد اسقفيته ٥ مرات : وحدها ٣ مرات والدمشقي الزربابي مرة والزربابي الشامي مرة . فتكون قد وردت على السواء في كل اطوار حياته ، غالباً وحدها في القوسية والاسقفية وداغاً مع الزربابي في الخورنية .

وردت « الزربابي » في عهد قوسيته ٣ مرات : الزربابي الشامي مرتين والشامي الزربابي مرة ؛ — وفي عهد خورنيته ٧ مرات : وحدها ٣ مرات ، والزربابي الشامي ٣ مرات ، والشامي الزربابي مرة ؛ — وفي عهد اسقفيته مرتين : الزربابي الشامي مرة والدمشقي الزربابي مرة . فيكون اكثر ورودها في خورنيته مقرونة غالباً بالشامي . ولم ترد مرة وحدها في القوسية . ولا اثر لها في الاسقفية الا في مخطوطين من غير قلمه .

٢) ورد اللقب ١٨ مرة ، واهمل ٩ مرات . وورد دون النسبة ثلاثاً ٦ مرات . وسُبق بلفظة « عرف » مرة ، و«المعروف» مرتين ، و«الملقب » مرة . وجاء مرتين بدون لفظة « ابن » ، ملحقاً باسم « عبود » .

٣) « الغُرير» اسم سنجاني بدين سمين بين الكهل والشيخ . قصير القوائم ، اغبر اللون . وقيل في امثالهم : اسمن من غرير (المنجد : الثلاثة ١٣ : سنة ١٩٥٢ : ص٥٧٤). وفي لبنان يلقب به من الاطفال والاولاد خاصة ومن الاشخاص عامة ، من كان سمين الجسم.

٤) من خط يوحنا : مخطوط المدرسة المارونية برومية :« ابن عبود ابن الغرير» ؛ — اكسفورد ١٣٩ :«ابن المعلم عبود المرحوم الغرير» ؛ — الشرفة ٧٥ : « ابن المرحوم المعلم عبود ابن الغرير » ؛ — ومن خط ابن الكنّ : الباريسي١٦٨ :«المعروف بابن عبود الغرير ».

ويعقبه تارة النسبة دون اللقب ، وتارة اللقب دون النسبة ، او مرفقاً بالنسبتين معاً ، او بواحدة منهما . ما عدا ورود اسم الوالد عبود حلال ما ذكرنا[1] .

وبهذا كفاية في شأن الهوية . وعنه معذرة .

. . .

وكان مترجمنا قسا على الاقل منذ سنة ١٦٣٤ ، وظل في هذه الدرجة المقدسة حتى ١٦٤٨ ، كما ورد في ست من المخطوطات هذه سنوها : ١٦٣٤—٥ و٣٦ وحوالي ١٠٤ و٤٢ و٤٥ و١٦٤٨ .

وذكر برتبة الخوري في سبع مخطوطات كتبت سنة ١٦٥٣ و٥٣ و٥٣—٤ و٥٧ و٦١ و٦٤ و١٦٦٦ .

وارتقى بعيد ذلك الاسقفية وسمي فيها غريغوريوس ، بالاضافة الى اسمه الاول يوحنا ، كما جاء في مخطوطين ، كلاهما من سنة ١٦٧٠ من خطه ، وفي ثالث كتبه تلامذته سنة ١٦٤٥ وعلق عليه بخطه بعد ارتقائه الاسقفية انه من كتبه . وذكره اسقفا ابن الكتن في مخطوط من سنة ١٦٧٨ والاسقف عبد الاذلي الحلبي في اخر من سنة ١٧١٤ (اعلاه) .

اما وفاة يوحنا الشامي فلا نقدر ان نحدد يوم وقوعها من الكتب التي وصفناها . فمنها يتضح فقط انه كان قد اصبح هرماً سنة ١٦٧٠ اذ نعت فيها بيديه بالضعف والميل الى الزوال (اعلاه : ١٣١) ؛ وانه على الارجح كان لم يزل حياً سنة ١٦٧٨ بالاستناد الى ان معاونه ابن الكتن يذكره فيها بدون الترحم عليه . اما ان يكون قد امهله الموت حتى سنة ١٧١٤ ، اذ ورد فيها ذكره بدون عبارة الترحم في مخطوط عبد الاذلي (اعلاه) ، اي ثمانين حولاً على الاقل بعد قسوسيته وما ينيف على قرن بعد ولادته ، فنستبعد ذلك ، لانه من النادر جداً ان لم يكن من المحال[2] .

---

١) بعد الاسم ، جاء اللقب اولاً ١٣ مرة : ٧ مرات وحده دون النسبة ؛ وبعده الشامي مرتين ، والزرباني مرتين والشامي الزرباني مرة والزرباني الشامي مرة ؛ — وجاء ثانياً ٦ مرات بعد الزرباني مرة ، وبين الزرباني والشامي ٣ مرات ؛ — وجاء ثالثاً مرة واحدة بعد الشامي والزرباني .

٢) جعل غبطة البطريرك برصوم مدة اسقفيته من ١٦٦٨ الى ١٦٨٦ (اللؤلؤ المنثور : ٢٦١) . وجعل الكونت فيليب دي طرازي تنقيفه سنة ١٦٦٧ ، وهذا مردود بما اوردناه من كتبه ، ووفاته في نواحي سنة ١٦٧٦ ، لانه لم يذكر بين الاساقفة الذين كرسوا اغاطيوس خليفة

وما عدا ذلك نعرف عن عائلة يوحنا الشامي ان والده عبود كان قد توفي سنة ١٦٥٣ اذ نعت فيها بالمرحوم (اكسفورد ١٣٩ والشرفة ٥/٤ سرياني) ، وان ولده سركيس نعت بالمرحوم في مخطوط من سنة ١٦٦١ (الباريسي ٢١١)[1] .

ولا يمكن الجزم بوقف هـذه العائلة من اليعقوبية والكنيسة الزومانية . فالكونت فيليب دي طرازي يؤكد في كتابه السابق ذكره ان اليعاقبة بعد ان اقاموه مطراناً عليهم سنة ١٦٤٧ باسم غريغوريوس يوحنا ، «اهتدى الى الكثلكة بارشاد البطريرك اندراوس الذي انفذ اليـه والى الكهنة والشعب الدمشقيين منشوراً ذا ١٤ صفحة ، مؤرخاً في ٢٢ ت ٢ سنة ١٦٧٣ [في الكتاب غلطاً : ١٧٧٣] ، يحتوي ايمان الكنيسة الحلبية . . . محفوظاً في دير المخلص . . بالقرب من صيدا . . » (ثم : ٢٦٩—٧٠) .

ويُعرض غبطة البطريرك برصوم عن « ايراد شيء من ذلك . بل يؤكد بالعكس ان يوحنا الشامي ، اسقف دمشق ، صاحب « ميمر افرامي وسط . . نددَ فيه برهط خرجوا على الارثوذكسية » (ثمّ : ٤٦١) .

اما المخطوطات فتنبئ ان كتابه كان في حمى كنيسة مار بهنام ، اليعقوبية آنذاك ، وانه أرّخ احدها في « ثامن شباط يوم عيد سويروس » ، وذلك بدون شك على سبيل التيمّن والتبرّك بالعيد وصاحبـه امام المتوفيسية . وهيهات ان يصح ذلك لكاهن سرياني كثوليكي (الشرفة ٥/٤ : الطرفة : ٨٢) .

لكن يدل على ميله الى الكثلكة منذ ١٦٥٣ ما جاء في خاتمة مخطوط اكسفورد رقم ١٣٩ من تبجيل وتعظيم للبطريرك اغناطيوس شمعون الذي اتحد بالكرسي الروماني (السمعاني : المكتبة الشرقية : ٢ : ٤٨٢) ، قال : « كتبته تنفيذ امر لا يُردّ ، وتأييد قول لا يُصدّ . . . لاب السريان ونادرة الزمـان وعلامة الوقت والاوان . . الخ . . . ابينا اغناطيوس بطريرك المشرق والمغرب ، الملقب بشمعون » . . . (اعلاه : ٤٢) .

اندراوس سنة ١٦٧٨ في الكرسي الانطاكي» (السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية : المطبعة الادبية : بيروت : سنة ١٩١٠ ص ٢٦٩—٧٠) . على ان هذا السب قـد يكون مرجعه الى تقدمه في السن او الى عدم انضمامه الى رهط من طائفته «خرجوا على الارثذكسية» . ونددَ هو جم بميمر افرامي (اللؤلؤ المنثور : ثمّ) .

١) جعلت وفاته في « اللؤلؤ المنثور » سنة ١٦٦٩ (ثمّ) .

جاء في « الفلوز المشور » ان يوحنا الشامي واضع « رسائل جدلية مفيدة بالعربية وبقولهِ ركيكة » (ثم : ٤٦١) . على انه كان بلا مشاحة رجل عمل يستحق الثناء ، ظل ينسخ ويترجم مدى ست وثلاثين سنة (١٦٣٤—٧٠) على الاقل . وادار كتّابا في دمشق سبقنا فذكرنا بعض تلامذته ومنتوجاتهم . ولا ريب في انها لم تصل الينا جميعها .

ويثبت لنا من كتبه انه كان يتقن ، ولا مئة ، اللغة السريانية ، وان يكن قد نعتها «بيابس السرياني» ويكتب العربية وينقل اليها ، وان بدت « نقوله ركيكة». وكان الى ذلك يعرف اليونانية بدليل ترجمته للمزامير عن النسخة السبعينية (اعلاه : ١٣٩) ، واعتماده على نص ترجمته هذه في كتاب تفسير المزامير ومقابلة السرياني واليوناني الواحد بالآخر في محالّ عديدة من كتابه هذا (اعلاه : ١٣٩—٥).

ونزيد ان هذا الكاهن كان لا يجهل العبرانية . فعند ترجمته لشرح المزمور ١٠٤ ، الآية ٣١ : « ولا بني الوهيم يتزوّجون ليتزوجوا ببنات قايين » زاد على الهامش تجاه بني الوهيم : « هذه كلمة عبرانية ، اعني بني الله » .

ولحظنا في درسنا ان المفريان ابن العبري كان الاحب اليه والمفضل لديه بين آباء السريان . فقد ترجم له على الاقل كتابين : الاثيقون والهدايا . وعاون ابنه سركيس في ترجمة منارة الاقداس ، له ايضاً . ونسخ من كتبه بالسريانية او الكرشونية : كنز الاسرار ، اللمع والاضواء ، الحمامة ، وفي مصحف واحد الاحداق وحديث الحكمة والاسرار الالهية الخفية والهدايا . وحثّ تلامذته فنسجوا على منواله .

والمفروض في من كانت هذه مآثره وآثاره الادبية ان يكون عالماً مثقفاً ذا اطلاع واسع وذوق سليم . وما يسرّنا انه لم يكن خالياً من النقد فيلجأ الى المقابلة ويكثر من الشروح ويعيد الامور الى مصادرها ويذكر مظانّها .

رأينا ذلك في سياق كلامنا على كتابه «تفسير المزامير» . وهذا شأنه في معظم كتبه . فكتاب الهدايا المحفوظ في الشرفة ، وهو بخط يده ، نعته صاحب الفهرس بنسخة «مهمّشة بعدة فوائد بالسريانية والكرشونية» (الطرفة : ٨٢ رقم ٥/٤) . وأدّى مثل هذه الشهادة ، في جانب بعض مخطوطاته ، صاحب فهرس المكتبة الوطنية الباريسية : « زاد الناسخ على الهوامش عدداً كبيراً من الشروح

والتصحيحات » في المخطوط ١٩١ (الفهرس ١٣٣) ، « حواشي على الهامش » في المخطوط ٢٠٤ ، عدد ٨ (ثم : ١٥٥) : « حواشي عديدة وشروحاً ونصوصاً بالسريانية والكرشونية تملأ الهوامش » في المخطوط ٢٢٧ (ثم : ١٧٤) ؛ « عدة شروح وحواشي على الهوامش » في المخطوط ٢٤٧ (ثم : ٢٠١) .

ومن جميل صنيعه ان الكتب التي خطها بيده او خطت في كتابه كان يقابلها باصولها كرّاساً فكرّاساً . وكثيراً ما نرى عبارة المقابلة في كتاب تفسير المزامير ، هكذا : « قوبل الى هنا حسب الامكان » (ك ١٠ ، اخره) « قوبلت » (ك ١١، ١٢، ٢٠، ٢١) ، « قوبلت حسناً » (ك ١٥) . ورأينا مثل ذلك في كتاب « الهدايا » المحفوظ في الشرفة .

وكان هذا الكاهن العالم العامل لا يغرب عنه تعيين اصول النسخ التي كان يترجمها او يكتبها . لنا مثال ذلك في كتاب تفسير المزامير ، وقد اوردنا حكايته في الحصول على الاصل السرياني ووصفه لحالة هذا الاصل من حيث القدم والعطب وتعيين تاريخ كتابته .

وحصل مثل ذلك في ترجمته لكتاب الهدايا . فهاك ما علّقه قبيل اخره : « اعلم ايها الاخ الواقف على هذا الكتاب الشريف اننا اخرجناه من نسخة بغدادية معتبرة بعد ان قابلناه على نسختين ، ثم فيما بعد على نسخة مطران بيثام المرحوم . ووصلنا في آخر الامر الى ها هنا ، فوجدنا هذا الباب الاربعون ناقص فصلين . فابقينا له ورق ابيض بعد التاريخ ، ليكتبوا اذا وجدوا » (الشرفة : رقم ٤/٥ . الورقة ما قبل الآخر ؛ — انظر الطرفة : ٨٢ : حيث لم تورد هذه العبارة) .

ومن هذا الكتاب نسخة اخرى في المخطوط الباريسي رقم ٢٢٧ ، ضمّ اليها في مصحف واحد مواضيع اخرى ، يفيدنا فيها الشيء عينه عن نقصان الاصل المترجم من آخره ، لكنه يستدرك باند اخذ النقص ، وكذلك اصل كتاب ميروتس ، عن نسخة كتبها الاسقف يوحنا غريغوريوس بهتام اسقف القدس (عن الفهرس : ١٧٤—٦) .

وقد جرى له شيء من ذلك في نسخه كتاب الاضواء ، المحفوظ في المخطوط الباريسي رقم ٢٥٩ (الفهرس : ٢٠٦—٧) .

ولما نسخ مياس اي مواعظ مار غريغوريوس التاوزوج سنة ١٦٧٠ ، المحفوظة

في المخطوط الباريسي رقم ١٩١ ، نقل في آخر نسخته خاتمة النسخة التي اخذ عنها ، وكانت مخطوطة سنة ١١٠٩ للشهدا : ١٣٩٣ م ، في دير مار بولا الناسك ، في برية كلزوم ، ومأخوذة عن مخطوط كتبه في دير مار انطونيوس العربه راهب يدعى زكريا ، ذكر فيه انه جاب الاصل المنقول منه من الشام الى الديار المصرية ، من نسخة فريدة ، لم يكن في الشام سواها . (الفهرس : ١٣٢—٤) .

وافادنا كذلك ان النسخة التي اخذ عنها رسالة مسيحي الى مسلم ، المحفوظة في المخطوط الباريسي رقم ٢٠٤ ، عدد ٨ ، يعود تاريخها الى سنة ١٤٨٤ لليونان : ١١٧٣ م (الفهرس : ١٥٥—٦) .

ولا شك انه حتم على تلامذته في كُتّابه التقيّد بهذه الطرق والخطط التي جرى عليها ان في الترجمة وان في النسخ . وقد ذكرنا ان كُتّابه كان قائماً في حمى كنيسة مار بهنام بدمشق ، حي باب توما ، وهي الآن كتدرائية مطران السريان الكثوليكيين . ونرى ان والده عبود ، المسمّى «المعلم» (اكسفورد ١٣٩ والشرفة ٥/٤) ، هو الذي رشّح ابنه يوحنا ودرّجه الى ما وصل اليه من العلم والعمل ، وكان قدوته فيها . ولا يبعد ان تأسيس الكتّاب كان على يده ، او اقله بمشورته . فتهيأ لولده ان يبلغ به الشأو الذي عرفناه .

...

هذا ما استطعنا معرفته وكتابته عن القس فالخوري يوحنا ، فالاسقف غريغوريوس يوحنا ابن المعلم عبود الشامي الزربابي ، الملقّب بابن الفرير ؛ وذلك من مخطوطاته التي وصلت الينا معرفتها واطلعنا عليها بذاتنا او بواسطة ما جاء عنها في فهارس المكتبات التي تحفظ فيها .

والفضل في كل ذلك لكتاب تفسير المزامير المحفوظ في بكركي ، وانه لفضل غير يسير . فقد اكتشفنا به مؤلفاً ليوحنا الشامي كان مجهولاً حتى الآن في تاريخ الآداب المسيحية العربية ، فاضيف جديداً الى المخطوطات العربية لكتبة النصرانية .

كما اننا بهذه المناسبة تطرقنا فتوصلنا الى معرفة الشيء الكثير ، في درسنا هذا ، عن كاهن فاسقف سرياني جليل ، عالم عامل ، جدير بالثناء ، يجب له علينا التقدير .

عن بكركي ٩ شباط عيد ابينا مار مارون ، سنة ١٩٥٤